المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن بعد المائة

١ ابريل سنة ١٩٤٦ — ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٦٥

حوت العنبر

Sperm—Whale = Cachalot.

Tech. Syn. Physeteridæ (fam). Physeter (Gn.). Ph. macrocephalus (Sp.).

حوت العنبر Sperm-whale وأصطلاحاً العنبر الكَرّوس أو التفاخ الكروس والثاني أصلح علميًّا ولغويًّا Physeter Macrocephalus أو كما يسمى في الكلام الجاري « القشلوت » أخذاً من الدارج في الفرنسية Cachalot ، من أضخم الحيتان ، فهو يناهز في الضخامة الحوت الغرينلندي أي حوت الخضراء . غير أنه قد بولغ في أبعاد حجمه مبالغة كبيرة ، كما اتفق أن بولغ في تقدير أحجام كثير من أجناس الحيتان ، ولو ان في الراجح أن هذا النوع وكان في الماضي أعظم عدداً وأذيع في البحار ، قد بلغ أفراده من الضخامة حدًّا لا يبلغه الآن . غير أننا نترك هذا البحث الآن ، ونكتفي بالقول بأن ذكر العنبر يبلغ من الطول حدًّا يتراوح بين ٥٥ و ٦٠ قدماً ، في حين أن الاناث لا تزيد على نصف هذا المقدار كثيراً ، وصدورهن أضخم وأكثر تناسباً .

أما خصائص هذا الحوت الجنسية Generic characteristic فتقع عليها في عظم الرأس وزيادته عما يجب أن تكون نسبته الى الجسم كله ، إذ يبلغ ربع طول البدن جميعه ، وفي عدد

(١) نقل من كتاب الحيتان تحت الطبع للمؤلف ، وهو وصف تاريخ الحيتان الطبيعي مع معجم كامل بأسماء صفاتها وهو أول معجم من نوعه في العربية .

الأسنان اذ تبلغ عشرين أو خمساً وعشرين على كل من طَوَارَي الضبَّة .

إن غلظ حوت العنبر وسوء منظره ، انما يرجع الى انه أقطع الفطم على عظمه ، والقَطَع فيه حاد رأسي ، فكأنما خطمه جدار قائم ، وفي فتحة المنخرين إذ هي على صورة حرف S الانجليزي ، منحرفاً الى الجهة اليسرى من خط الوسط . أما الفم على إمعان فغرته في الطول والسعة ، فينفتح سفليًّا ، وعلى بعد ما من مقدمة الخَطْم

على السطح العلوي من الجمجمة تجويف عظيم يحدّه من الخلف عظم جداري طويل رأسي الوضع يكون في الحوت الحي مفعماً عادةً بفضاء دهنية مائعة تسمى « أَيَّلُ الحوت» Spermaceti وليست هي المعروفة باسم العنبر ، التي أخذ منها اسم هذا الحوت في العربية

وقد خلط بعض كتّابنا بين المادتين سهواً . ومن مقدمة هذا الفراغ أو التجويف يبرز منقار الحَكَمة (الفك الأعلى) وفي لثته تندفن أسنان عديمة — Rudimentary (أي أثرية). أما الضَّبَّة (الفك الأسفل) فبالغة الطول نحيلة الهيئة وشقَّتاها العظميتان ملتحمتان حذاء خط الوسط زهاء نصف طولها .

الأسنان العاملة كما أسلفنا تكون على الضبة منغرزة في حزّ طويل مقسم إلى وقوب بين كل وقب وآخر فاصل عظمي غير كامل ، وهي كبيرة الحجم ، فاذا لم تكن متأكلة ظهرت مدببة منحنية الأطراف . وهي تقوم على طوار الضبة منغرزة في حز طويل مقسم الى ما يشبه الوقوب بفواصل عظمية غير كاملة . وتتألف الأسنان من عاج خالص وتجويف اللب السني (Dental pulp cavities) الذي يكون عند قواعدها يظل منفتحاً زمناً طويلاً . بيد أنه قد يظل غير كامل الانسداد ، ان قليلاً أو كثيراً ، في عهد البلوغ حتى يشتد تسطح قواعد الأسنان من الجانبين . أما اللسان وداخل الفم فلونهما البياض الناصع ، ومحيط الزُّور كبير جدًّا . والعينان غير سويتين ، فاليسرى أكبر من اليمنى ، وتستويان فريق زاويتي الفم شيئاً مَّا ، وبمقربة منهما الى الخلف فتحتا الأذنين ، ويقال إن الواحدة منهما لا تتجاوز ربع سمة طولاً . عند التقاء الرأس بالبدن بروز ظاهر في وسط خط الظهر ، وفي منتصف المسافة بين هذا البروز والذنب نتوء كبير يتبعه عدد من النتوءات أصغر منه ويسمى عند النساء Hump وليس للعنبر زعنفة ظهرية ولا تزيد السَّمَاحة على ست أقدام طولاً وثلاث عرضاً ،

وأقصى ما يصل إليه محيط دائرة الذنب خمسة عشرة قدماً . لون العنبر إما السواد ، وإما السواد الى السمرة . في أجزائه السفلية ، تخف ظلال هذا اللون على الجانبين والأجزاء التحتية ثم تتدرج حتى يصير اللون أغبر فضيًّا عند منطقة الصدر . وقد شوهد بعض أفراد منه مرقطة اللون . أما الذكور العتيقة فكثيراً ما يتقلب لون خطومها ومقدم الرأس ، فيصير أغبر . وحوت العنبر ، إن كان من أهل البحار المفتوحة أصلاً فانه ينتشر في جميع المحيطات المعتدلة الاقليم . وفي أثناء الصيف يطوف في جولاته اتفاقاً وبين حين وآخر الى الشمال فيمعن فيه . اما أن للعنبر عادة الجولان والتنقل مسافات شاسعات ، فأمرٌ ثابت بالمشاهدة . فقد صيد في المحيط الاطلنطي أفراد منه وفي جوفها حراب تلقتها في أثناء جولة في المحيط الهادي . ساد الاعتقاء زمناً مَّا أنَّ العنبر من زوّار المياه البريطانية يزورها حيناً بعد حين . ولكن حدث في سنة ١٩٠٣ ان قنص خمسة عشر من النرويج وايسلنده وهتلند سبع طول بالغة في البحار الشمالية . وما هذا العدد بالضرورة غير جزء صغير من حيتان العنبر التي كانت ترتاد تلك المناطق الشمالية . وكان أول ما سُجِّل من صيد هذه الفحول في العشرين من شهر يونيه إذ صيد خلان من قطيع عظيم كان يحوم على الخط ٦٠ من خطوط العرض . وذلك يناهز خط العرض الذي تقع عليه جزائر « فارو » The Faroes . ثم قنص في نفس اليوم فحل يناهز طوله ٥٤ قدماً على بعد ٨٤ ميلاً شرقي الجنوب الشرقي من رَيدَر فيرود — Ruidarfford (أو زقاق ريدر البحري) . ولم ير غيره من الحيتان هذه المرة . وفي السابعة والعشرين من ذلك الشهر صيد فحل ، كان مع جماعة من الحيتان عددها ثلاثة أو أربعة على ستين ميلاً جنوبي شتلند . وقيل إن هذا الفحل كان قد بلغ ٦٨ قدماً طولاً ، وأن محيط جسمه بلغ أربعين . اما إذا كان مقاس الطول قد أخذ في خط طولي وليس على امتداد القوس الظهري ، فذلك رقم قياسي . فان هيكل فحل العنبر المحفوظ في المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي لا يتجاوز طوله خمسين قدماً إلاَّ قليلاً .

وقد غلَّ ذلك الفحل ٥٣ برميلاً من الدهن فهو نظير الفحل الذي صيد بقرب من رَيدَر فيرود من حيث ذلك . وحوت العنبر صواري العادات ، ويجتمع في رُعُلان : [illegible] احتلف عددها في الزمن الماضي بين خمسة عشر فرداً الى عشرين ، وقد بلغت بعض الأحيان

عدة مئات ، الفحول البالغة والاناث قسم ، والفحول الصغيرة قسم آخر ، والفحول الكبيرة كثيراً ما يقع بينها وبين صغار الفحول معارك دامية . وكان من المناظر العادية في بحار الجنوب أن ترى أرجال العنبر الكبيرة تحوم من حول السفن وبمقربة منها ، فتقترب من السفن الشراعية أكثر من اقترابها من السفن البخارية العظمى لأن صوت الآلات الهادرة يخيفها فتبتعد عنها .

جبهة كبيرة قطماء ، وجسم مستطيل لامع أزرق اللون الى الخضرة ، وفكان عظيمان ، وظهر مسنم ، وذنب مستدق الفلقتين يتمايل ، وبدن هائل الحجم ، وحركة متئدة هادئة ، وسبح النسيابي فيه جمال وفيه سكون ووقار يتفصد زفيراً من وقب الثغث في فترات مطردة : ذلك هو منظر حوت العنبر إذا اتفق لك أن تراه يطوي أمواه المحيط الزاخرة . وحيتان العنبر ، إذ كثيراً ما تشاهد في البحار ، تكون في العادة متخفية ممتها نحو بقاع من المحيط تكثر فيها الرخويات التقنات بها . فاذا شوهدت كانت على ما وصفنا في التؤدة والوقار ، فلا تدابر السفن كما تفعل البرابيز (الدواحر) ولا تنفر من حولها لاهية . وبين الاناث من أفراد هذا النوع كثير من الحدب والتعاطف ، فكل واحدة منهن تعمل جاهدة في سبيل حماية رفيقاتها وصيانتهن . أما صغارهن فحبيبات القلوب ، يلفهن الماء . أما اذا قتلت من قطيع إحدى الاناث فسهل على الحواتين صيد الكثير منهن ، لأنهن جميعاً ينهضن الى مساعدتها والعمل على خلاصها . أما شباب الفحول ، وقد يشاهد أرجال منهم في فترات معينة ، فأقل قوة وشجاعة من الاناث ، فاذا جرح واحد منهم تركه رفقاؤه وخلفوه من ورائهم يصارع وحده القدر ولسان حاله يقول : أضاعوني وأي فتى أضاعوا .

في البحار يمكن اصطناع صوت العنبر وتمييزه عن غيره من الحيتان بانتظام الفترات التي يطفو فيها للتنفس ، ولو ان رتابة هذا النظام قد تختلف باختلاف العمر . يقول الكبتن إسكورن : إذا طفا فأول ما يظهر منه منطقة السنام ثم يرفع رأسه ، ثم يتنفس بتؤدة زهاء ثلاث ثوان ، مرسلاً الى الفضاء كمية من البخار مبيض اللون ينفلت فتنحرف الزاوية بشدة من وقب صغير . فاذا كنت على صاري السفينة رأيته من مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وخمسة . وعندما يغوص في التنفس منميلاً وعلى رسله . فانه لا يغيب في الماء بعض الأحيان . وقد

ينساب أحياناً أخرى بسرعة تتراوح بين ميلين وثلاثة أميال في الساعة . فاذا أراد الانتقال من حقل غذائي الى حقل آخر تسارعت حركته . ثم يقول : عند ما ينساب حوت العنبر في حركة تقدمية ، فقلما يحتاج لغير برهة وجيزة ليتنفس ، فيغمر رأسه قليلاً ، ثم يختفي فجأة ثم يظهر ثانية لينفخ كما فعل من قبل ، فيحدث التنفس نظاماً رتيباً . أما عدد الزفرات عند ما يكون هذا الحوت في هدوء ، فيختلف تبعاً لحجمه . وكذلك فترات الطفو والانغمار ، فانها تتفاوت تبعاً لذلك . وأكبر الفحول لا تحتاج لأكثر من عشر الى اثنتي عشرة ثانية ليتم نفساً واحداً شهيقاً وزفيراً . أما عدد النفخات فمن ستين الى خمس وسبعين نفخة في طفوة لا يزيد مداها على اثنتي عشرة دقيقة . وعند الانتهاء من تلك النفخات ينحدر ومقدم رأسه الى أسفل ، ويدور راقماً فلقتي ذنبه في الهواء حتى يصير جسمه في وضع رأسي تقريباً وينغوص الى أعماق بعيدة ، حيث يظل غائصاً زمناً يتراوح بين خمسين وخمس وسبعين دقيقة . ولا يسمع لزفيره صوت . وقيل إنه اذا سبح بطريقته المألوفة بحيث يكون لسنامه فويق سطح الماء فان سرعته لا تقدر بأكثر من سبعة أميال في الساعة . ولكن اذا سبح ورأسه يبدو برهة ويختفي أخرى على التتابع فسرعته تتراوح بين عشرة أميال واثنى عشر في الساعة . وتلد أنثاه في كل فصول السنة فتضع فلواً واحداً ، ولكن من المعروف أنها قد تتئم فتلد اثنين : ويقال ان فلو حوت العنبر يتراوح طوله بين ١١ و ١٤ قدماً عند الولادة .

غذاء حيتان العنبر الرئيسي يتألف من السبادج Squid والحبار الهلامي Cuttle ولكنه قد يلتهم أيضاً عدداً وفيراً من السمك مثل قد الصخور Rock Cod والبكورة Albacore والبينت Bonito جميع هذه الأنواع من الطعام يصيدها ذلك الحوت في الأعماق ، ولكن طريقة صيدها غير معروفة ويعتقد البعض أن الحوت إذا غاص ظل ساكناً ثابتاً في مكان ثم يدلي ذنبه (فكه الأسفل) حتى تصير في وضع رأسي من مستوى رأسه ، فيظهر بذلك البياض الناصع الذي يغشى فجوة فمه العريض . فهو بهذا الفعل — على ما يروى — يجتذب نحوه الحيوانات التي يغتذي بها ، حتى إذا ما دخل عدد كاف منها في تلك الفجوة الكبيرة أغلق ضبته بسرعة فائقة . إذا جرح حوت العنبر جرحاً قاتلاً لفظ من فيه آخر ما التهم من الطعام . وتيست تحوي بعض السبادج التي التهمها بعض الأفراد المصيدة مبلغ حجم بعضها

٢٨٠ قدماً مكعباً . وليس أدل من هذا على أقدار تلك السَّراجل Cephalopods التي تلتهمها تلك العالقة البحرية .

وتقتنص حيتان العنبر لشيئين فيها : الدهن الذي تحتوي عليه طبقات الشحم التي تغشى الجسم ، و«أيّل الحوت» الذي يكون في تجويف الرأس . ولما كان ثمن الدهن المستخرج من حوت العنبر أغلى ثمناً من جميع أنواع الدهون الحوتية الأخرى ، كان هذا الحوت أثمن أنواع الحيتان جميعاً . أما الأيّل فأشبه بالزيت ، ويغترف في دلاء بعد أن تفتح الجمجمة . أما هذه المادة فتباع بعد أن تكرر وتصفى فتصبح صالحة للتجارة . والفائدة التي تعود على العنبر من وجود تلك الكمية العظيمة من الدهن المائع في تجويف رأسه ، أمرٌ لم يدرك منه المواليديون شيئاً حتى الآن . بالاضافة الى تينك المادتين يخرج التشلوت مادة أخرى هي العنبر أو بالتحقيق العنبر الاشهر Ambergeris - Grey amber : ولا تستخرج هذه المادة في العادة عند اقتناص الحوت ، بل يعثر عليها سابحة في البحار . وقد تحقق الباحثون أنها تتكوّن في أمعائه . وهذه المادة التي تحتوي على عدد من مناقير السادج والحبّارات التي تغتذي بها قد اتخذ منها مادة طبية . ولكنها تستخدم اليوم في عمل الروائح لا غير . وهي مادة غالية الثمن ويبلغ ثمن الأوقية الواحدة خمسة جنيهات انجليزية .

إناث هذا الحوت وصغاره من أشد الحيوانات حرصاً على الحياة . فاذا نشب في إحداها هلب أو ضربته حربة تشبثت بالحياة وعملت جاهدة على التخلص مما نشب بها .

وسرعة حركتها إذ ذاك تجعل اصابتها مرة أخرى من أشق الأمور . أما الفحول الكبيرة والاناث البالغة ، تلك التي تغل قرابة ثمانين برميلاً من الدهن ، فأقل نشاطاً وأهدأ حركة ، فقتلها أيسر وصيدها أمن مشقة . على أن هذه القاعدة غير مطردة دائماً . فقد حدث مراراً أن عنابر كبيرة قد ارتدت حانقة ثائرة على متعقبيها ، محطمة كل ما يصادفها في طريقها من الأشياء ، مستعدة من سباحاتها الهائلة سلاحاً تلطم بها كل ما يقع تحت ناظريها ، أو رأسها العظيم تنطح به ، أو ضيتها تفري بها الاشياء فرياً ذريعاً . وقد رويت وقائع عن عنابر وحيتان أخر لم يقتصر أمرها على تحطيم صغار القوارب التي تحملها سفن التحويت ، بل هاجمت السفن العظيمة نفسها وأغرقتها . ويعتقد الكاتبون أن السفن التي انقطعت أخبارها وفقدت من غير أن

يسمع عنها خبر الا أغرقتها الحيتان . ومما يروى عن شراسة العنبر وقوة بأسه ما حدث للسفينة سترن Citizen سنة ١٨٥١ عند ما خرجت لصيد الحوت في المحيط الاطلنطي . فان عنبراً جريحاً بعد أن حطم قارباً من قواربها ارتدَّ الى قارب آخر ، ولكنه انصرف عنه الى ثالث لفت نظره ، ولم يفلت القارب الثالث إلاّ بصعوبة كبيرة . فلما أفاق منه اتجه نحو السفينة نفسها ، وكانت قد نشرت أشرعتها ومضت بأقصى سرعة ممكنة . وبذلك تمكنت من أن تتفادى هجمة ذلك العملاق الأسود . وأخذ الحوت يستجمع قوته لوثبة أخرى على السفينة ، ولكن جرحه كان مميتاً فهدته سكرة الموت عن ملاحقتها . ويروى أن عنبراً آخر لم يكتف بتحطيم السفينة ، فأخذ يقضم خشبها ويلوكه بأسنانه ويمعن فيه مضغاً .

أعظم من هذا كله ما وقع للسفينة « جزيرة هندا Handa Island » على ٢٢٠ ميلاً من ميناء سيدني بأوستراليا . ففي ٢٤ من اغسطس سنة ١٨٩٤ صادفها عنبران كبيران . غادرت هذه السفينة خليج مركوري Mercury Bay في نيوزيلندة وعليها حمولة كاملة من الخشب ، ولم يدر في خلد ربانها وبحارتها أن الحيتان ستهاجمها فلم يتخذوا لذلك العدَّة . هاجمها أحدهما وغاص من تحتها ، وتقدم الآخر فنطحها بقوة فائقة جعلها تدور على نفسها فأصبح حيزومها حيث كانت دفتها ، وأحدث بها ثقباً انحدر منه ماء أخذ يملأ فراغ السفينة بنسبة قدم ارتفاعاً في خلال ساعة .

اسماعيل مظهر

حكومة القساوسة Episcopal System.

(L. episcopatus = the office of a bishop).

٢ — حكومة كنسية رءوسها الأساقفة .

٢ — نظام الحكم الكنسي ويتألف من ثلاث مراتب : (ا) الأساقفة Bishops (ب) والقساوسة Priests (ج) والشمامسة Deacons . وكل مرتبة منفصلة عن الأخرى، ولطبقة الاساقفة السلطة العليا فيه . ولهم وحدهم قوة اصدار الاوامر